## السومريون ... الأصل والموطن

كان هناك كثير من الجدل، على مرّ السنين، حول متى وصل السومريون إلى بلاد الرافدين. فهناك استمرارية كبيرة في الثقافة المادية للجنوب من أواخر الألفية الخامسة قبل الميلاد وحتى نهاية الألفية الرابعة قبل الميلاد، وربما تشير هذه الاستمرارية إلى أن السومريين كانوا موجودين منذ زمن المستوطنين الأوائل، ولكن بعض الباحثين افترضوا أن السومريين كانوا غرباء عن بلاد الرافدين، وإن كانوا قد أسسوا حضارته واخترعوا كتابته الأولى، ولكن المشكلة المتعلقة بهم هي المكان الذي جاءوا منه إلى هذه البلاد، إذ يبقى أن هذا الموطن الأصلي أمراً غامضاً ومجهولاً لعدم وجود دليل لغوي أو أثر حاسم بأي موضع من العالم القديم.

ولم يكن السومريين معروفين معرفة تامة تقريباً في الغرب حتى جرت الاكتشافات الكبيرة في(تلو)، وهي جزء من مدينة (لگش) الشهيرة، وكشف فيها عن أول الأدلة على وجود السومريين، إذ احتوت النصوص على لقباً ملكياً هو(ملك سومر وأكد)، مما جعل الباحث(جول أوبرت) يقترح عام ١٨٦٩م أن شعباً قديماً سماه (السومري) لا يتكلم لغة سامية عاش في جنوب بلاد الرافدين. وما أن أُكتشف هذا الشعب حتى بدأت عملية البحث عن أصوله، وفي أواخر القرن التاسع عشر أطلق الباحث (هلبريخت) رأياً مفاده أن السومريين أقدم سكان بلاد جنوب الرافدين مقابل الساميين(الغزاة)، ومع عدم واقعية هذا الرأي إلا أنه ألقى ضوءاً مهماً على هذه القضية.

عرف موطن السومريين باسم(كي– إن– گي (KI–EN–GI =التي تعني أرض سيد القصب، وإن كان هناك من الباحثين من يرى أن أصل الاسم جاء من كلمة (كي (KI = واسم الإله( أنكي (Enki =فتصبح أرض أو بلاد أنكي، في حين يعتقد باحثون آخرون أن مصطلح (كي– إن– گي (KI–EN–GI =ربما يكون اسم قديم لمدينة نفر كونها من أقدم المدن السومرية. وأطلق على موطنهم باللغة الأكدية(مات شوميريم(mat sumerim =، وهي تسمية تقابل مصطلح (KA–LAM) السومري الذي يعني بلاد السومريين.

### آراء في أصل السومريين

كانت عملية متابعة تاريخ دخول السومريين إلى القسم الجنوبي ومسألة كونهم أو عدم كونهم أول سكان المنطقة محور اتصال لتبادل الآراء في مؤتمر عقد عام ١٩٣١م في

مدينة ليدن الهولندية. وقد بدأ بحث الآثاري(هنري) بمراجعة الحقبة التاريخية المعروفة بعصر السلالات المبكرة(٢٩٠٠- ٢٣٥٠ ق.م.) التي بدأت فيها هيمنة الأقوام السومرية وانتشرت لغتهم في اثناءها، وحين رجع إلى العصر الأقدم جمدة نصر وجد أن ملامح الوجوه البشرية على الأعمال الفنية: نحت، وأختام، وتماثيل لا يمكن تميزها عن الحقبة اللاحقة، عصر السلالات المبكرة، لذا فهي سومرية، كما أنه درس النصوص الكتابية شبه الصورية من جمدة نصر، ومن الدور الثالث من الوركاء ووجدها سومرية كذلك، وهكذا حاول إثبات حالة التواصل في سكان جنوب بلاد الرافدين بين عصري السلالات المبكرة وجمدة نصر، وفعل الأمر ذاته مع أدلة من عصر الوركاء(٣٨٠٠-٣١٠٠ق.م.)، إذ ركز على التماثيل البشرية، ولا سيما الرجالية فدهش للتشابه بين التنورات الطويلة، واللحى، والشفاه العليا، وعقدة الشعر خلف الرأس، ولاحظ التواصل في استعمال الأختام الأسطوانية والمنبسطة، وفي عمارة اللبن كذلك، وأستنتج أن هذا التطابق كان كافياً لإثبات أن السومريين كانوا في جنوب بلاد الرافدين في أثناء عصر الوركاء. وقال أن وصول السومريين إلى بلاد الرافدين كان في أواخر عصر العبيد أو أوائل عصر الوركاء.

وحاول الباحث الألماني هارتموت شموكل أنتهاج الاسلوب الأنثروبولوجي عن طريق عرض التفاصيل الجسمية للأقوام السومرية بوساطة استقراء المنحوتات والمسلات والأختام وغيرها من البقايا الفنية، ووصفهم بأنهم :( أناس ذوي جماجم صغيرة وعريضة وأنوف بارزة، لكنها مستقيمة، وأفواه صغيرة وشفاه دقيقة، وفكوك سفلى صغيرة وجبهات ليست عالية وبنية متينة وعريضة) .

ونشير في هذا السياق إلى رأي الأستاذ طه باقر في ما يتعلق بنسب صفات جسمانية للسومريين كما فعل فرانكفورت وشموكل اعتماداً على التماثيل والمشاهد الفنية، إذ قال أن ما يبدو من ملامح على التماثيل الآدمية كان أمراً تتحكم فيه الأساليب والطرز الفنية المتبعة في النحت بالدرجة الأولى، وأن ما يظهر من هيئات وسحن على تلك التماثيل للأفراد لا يمثل في الواقع فروقاً أو ميزات قومية خاصة بالسومريين أو الأكديين، وإنما هي أزياء خاصة بمقام الشخص الممثل على هذه الأعمال الفنية. ويعزز هذا الرأي أن الملامح والسمات التي درج الباحثون عزوها إلى تماثيل السومريين ظاهرة أيضاً في تماثيل الأشخاص في مناطق بعيدة عن المنطقة المفترضة للسومريين مثل; ماري(تل الحريري في سورية). ونجد، من ناحية أخرى، أن التماثيل المنسوبة إلى السومريين من عصر

السلالات المبكرة تختلف في أشكالها عن التماثيل الشهيرة للأمير گوديا السومري الذي عاش في المدة (٢١٤١-٢١٢٢ ق.م.(

واعتمد هنري فرانكفورت على مطابقات الباحث المعماري(والتر اندريه) الذي أورد تشابهات بين أقدم مباني العبيد في أور وعناصر من التراث العماري السومري والبابلي المتأخر. وكتب فرانكفورت:(بما أننا وجدنا أنهم سومريون في عصر السلالات المبكرة فيجب أن نعدهم سومريين في الحقب الأسبق أيضاً). ثم ختم دراسته بالقول: (إن السومريين لم يكونوا فقط المؤسسين الرئيسيين لحضارة الرافدين لكنهم أيضاً من أقدم القاطنين فيه.(

**الموطن الأصلي للسومريين**

اختلف الباحثون حول الموطن الأصلي للسومريين أو الطريق الذي سلكوه، إذ لا توجد دلائل ثابتة حتى الآن، فمنهم من يقول أن السومريين وفدوا من الجنوب من إيران، أو بالقرب من شمال إفريقيا عبر فلسطين وسوريا، أو من مناطق القوقاز وأرمينيا في الشمال مخترقين أرض الجزيرة التي يحيط بها النهران، ومنهم من يقول أنهم وفدوا من موطنهم الأصلي في جنوب الهند. وتجاهل بعض الباحثين هذه القضية وأشار إلى أنهم أقوام هاجرت إلى بلاد الرافدين من عصور قبل التاريخ، وهو نوع من إقرار منهم بصعوبة المهمة، وأن الأدلة الأثرية قليلة وناقصة.

فقد أعتقد كريمر أن موطن السومريين يجب البحث عنه في مكان ما في قرب بحر قزوين، إذ يرى أنهم من بدو هذه المنطقة الذين هاجروا إلى مناطق غرب إيران في عصر العبيد، أو أوائل عصر الوركاء، وتبنوا حضارة النهرين التي يعتقد أنها كانت تتجاوز في انتشارها حدود إيران. فوظفوا ما حصلوا عليه من هذه الحضارة مع ما اتصفوا به من رشاقة بدوية، وحدث كل هذا في الربع الأخير من الألف الرابع ق.م، عندما تسللوا واحتلوا مدن الجنوب الرافديني بالتتابع في عصر الوركاء، وعملوا على توحيد الرؤى والمفاهيم الحضارية في مطلع العصر المعروف بعصر السلالات المبكرة(٢٩٠٠ ق.م)، وقد استقر وأنصهر السومريون بحضارة وثقافة من سبقهم في هذه البقعة الخالدة ونتج عن هذا الانصهار العصر السومري الذهبي. وربما أعتمد في رأيه هذا على ما ورد في الأدب الملحمي عن صلتهم بمدينة أرتّا، وهي مدينة تقع في غرب إيران، وإن كان موقعها غير معروف إلى الآن.